الرِّسَـــالة ١٣٢

هل القيَمُ الأخلاقيّة تخضَعُ للنسبيّة؟

(Arabic – Isn't morality relative?)

حلقة جديدة من سلسلة : سُؤالٌ حيّرَنِى وجَوَابٌ أقنَعنِى.

وسؤال هذه الحلقة : هلْ القيَمُ الأخْلاقيّة تخْضَعُ للنِسْبيّةِ؟

يجيبنا على هذا السؤال: Cliffe Knechtle

فى كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.

وقد حصلنا على تصريح كتابىّ من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربيّة.

لا يَمُرّ يَوْمٌ دُونَ أنْ نَجدَ أنفسنَا مُطالبينَ بإعْطاء حُكم على كلّ أمْر مِنَ الأمُور التِى تواجهنَا فى الحَيَاةِ. فنقولُ إنّ هذا جَائزٌ عمَله وذاك غيْرُ جَائز. ونعْطِى القرَارَ الذِى يُرْضِى ضَمَائِرنَا ونتحَملُ النتائجَ المُترتبة. وكلّ إنسَان ينظرُ إلى تلكَ الأمُور التِى يُواجهُهَا مِنْ زَاويَةٍ مُعيّنَةٍ يَختَارُهَا بإرادَتِهِ. فقدْ نبيحُ لأنفسِنَا أنْ نَغِشّ حينَ نقدّمُ تقريراً عَنْ دَخلنَا أوْ لا نبيحُ. وقدْ نرَاهُ أمْراً لائِقاً بنَا حينَ نشَاركُ الأصْدِقاءَ إطلاقَ فكاهَاتٍ تخْدِشُ مَشَاعِرَ الآخرينَ وقدْ نرَاهُ لا يليقُ. وقدْ نجيزُ لأنفسِنَا مُمَارَسَة الجنْس مَعَ الذِى يَستميلنَا أوْ يَنْجَذِبُ إليْنَا وقدْ لا نجيزُ. وربّمَا نكذِبُ كىْ ننقذ أنفسنَا مِنْ أمْر تورّطنَا فيهِ وقدْ لا نكذِبُ. وقدْ نسْمَحُ لألسِنَتِنَا أنْ تغتابَ الآخَرينَ وقدْ لا نَسْمَحُ.[١]

بكلّ تأكيدٍ نحْنُ نكرَهُ أنْ يكذِبَ النّاسُ علينَا. ولا نبدِى ارتيَاحاً لمَنْ يُحَاولُ خِدَاعنَا. ومَعْ ذلِكَ ولسَبَبٍ مَا لا يُسَاورُنَا ضيقٌ أوْ عَدَم ارتيَاح حينَ نتصرّفُ بنفس الأسلوبِ مَعَ غَيْرنَا. ولكنْ إذا كنّا أمنَاءَ صَادقينَ مَعَ ذواتِنَا لأدْركنَا أنّ أفضلَ نوايَانَا زائفة ولا تخلو مِنْ شَوَائبٍ. فليْسَ مِنْ طبيعتِنَا أنْ نسلكَ بنقاوَةٍ ووَدَاعَةٍ فى مُعظم الأحْيَان. كثيرُونَ يَعتقدُونَ أنّ القيَمَ الأخلاقيّة تخْضَعُ للنِسبيّةِ. وأنّهَا تعتمِدُ على الظرُوفِ المُحيطةِ. وَهُمْ فى نفس الوقتِ يَعترفونَ بأنّ شُعُوراً بالذنبِ ينتابُهُمْ إذا كانَتْ قرَاراتهُمْ تختلِفُ باختِلافِ الظرُوفِ. لذلكَ لا يَشْعُرُونَ بسَلام دَاخِلَ قلوبهمْ ويشْعُرُونَ بتأنيبِ ضَمَائِرهِمْ التى تبكتهُمْ على أفعَالِهمْ التى سَمَحُوا بهَا لأنفسهمْ ولكنْ بَعْدَ فوَاتِ الأوَان.[٢]

بَعْضُ النّاس يُريدُونَ أنْ يقبلوا دَعْوَةَ المَسيح لهُمْ ولكنْ تحْت شُرُوطٍ مُعينّةٍ. إنّهُم يُريدُونَ أنَ يقبلوهُ ليُخلصَهُمْ مِمّا يُربكُ حيَاتهُمْ. كعِلاج سَريع لأمْر تورّطوا فيهِ. ولكنّ يَسُوعَ المَسيحَ يَرفضُ أنْ نَستميلهُ إليْنَا لغَرَض كهذا. إنّ يَسُوعَ المَسيحَ يُريدُ أنْ نسلمَهُ حيَاتنَا ليُغيّرَهَا تغْييراً جَذريّاً. يُغيّرُ الأسلوبَ القديمَ الذِى سَبَقَ واخترْنَاهُ لنَحْيَا بهِ ويَرُدّنَا إلى العِلاقةِ الصَحيحَةِ بَيْننَا وبَيْنَ اللهِ. والمُلاحَظ أنّ الإحْسَاسَ بالذنبِ يَدفعُ النّاسَ إلى أحَدِ إتجَاهيْن:

الاتجاهُ الأولُ: هُو مُحَاولة التخلص مِنَ ذلكَ الإحْسَاس بالذنبِ.. بالإنغِمَاس أكثرَ فيمَا اعتادُوهُ إلى أنْ يُدَمّرَهُمْ تمَاماً.

الاتجاهُ الثانِى: هُو مُحَاولة التخلص مِمّا انجرَفوا إليْهِ.. فيتجهُونَ كامِلاً بأنظارهِمْ إلى يَسُوعَ المَسيحَ يَطلبُونَ رَحْمَتَهُ وغُفرَانَهُ. لأنّهُ لمْ يَأتِ ليدينَ ويُحَاسِبَ ويَرْفضَ. بل ليقبلَ ويُخلصَ ويَرُدّ النفسَ الضَالة التى تلجَأ إليهِ.[٣]

إنّ النّاسَ يُوَاجِهُونَ صِرَاعاً أخلاقيّاً فى ذلكَ العَالم الشرّير. فالشيطانُ يتحَايلُ عَليْهِمْ ليستأسِرَهُمْ ويُخْضِعَهُمْ لهُ. بإغْرَاءَاتٍ إمّا مَاديّةٍ أو شَهْوانيّةٍ أوْ بإبَاحةِ العِلاقاتِ الجنسيّةِ خَارج نطاق الزّواج أوْ بمُمَارَستِهَا بأسَاليبِ الشّوَاذ. كنتُ يَوْماً فى جَمْع كبير مِنْ طلابِ الجَامِعَةِ وإذا بإحْدَى الشّابّاتِ تصيحُ قائلة لِى: لمَاذا تعتبرُونَ مَمَارَسَة الجنْس خَطأً؟[٤]. هلْ الله ضِدّ الجنس؟!. أولَيْسَتْ مُمَارَسَة الجنس مِتعَة؟. وإذا بمَجْمُوعَةٍ مِنْ حَولِهَا تصيحُ بصَوتٍ وَاحِدٍ

---

[١] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٤: ٢٩ ، إلى مؤمنى كولوسى ٣: ٨ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل لوقا ١٥: ١٧ – ١٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٧: ١٧ – ٢٤

[٣] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١: ١٨ – ٢٢ ، إنجيل يوحنا ٣: ١٧

[٤] رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤: ٣ – ٨

مُؤيّدينَ لهَا. فأجبتهُمْ قائلاً: مَنْ خلقَ الغَريزَة الجنسيّة فينَا؟. أهِى مِنْ صُنْع البَشَر؟!. كلا!. إنّهَا وَاحِدَة مِنَ الغَرَائِز التى خَلقهَا اللهُ فينَا. ويُخْطِئُ مَنْ يظنّ أنّ اللهَ يتأففَ مِنَ الإنسَان إذا مَارسَهَا.

إنّ الغَريزَةَ الجنسيّة كسَائر الغرَائز التى خلقهَا اللهُ. ويُخْطِئُ مَنْ يَنظرُ إليْهَا كمتعَةٍ جَسَديّةٍ وليْسَ إلا. ولكنْ إنْ أحسَنَ البَشَرُ استخدَامَهَا حَسَبَ قصْدِ اللهِ الذِى خلقهَا استقامَتْ الحيَاة. وإنْ أسأنَا استخْدَامَهَا وسلكنَا سُلوكاً شَاذاً تعَرّضْنَا للدّمَار وحَصدْنَا عَوَاقبَ وَخيمَة وأمْرَاضاً مُستعْصيَة يَحَارُ الطِبّ فِى عِلاجهَا. كمَا أنّهَا تتفشّى بينَ الأطفال الأبْرِيَاء. فكمْ مِنَ الدّول المُتخلفةِ تعَانِى مِنْ عَواقبهَا الوَخيمَةِ. ونَحْنُ نعلمُ أنّ المُجتمَعَ الإنسَانِىّ مُؤسّسٌ على الأسْرَةِ. والأسْرَة لا تنتِجُ أجْيَالاً إلا إذا بَدَأت برَجلٍ وإمْرأةٍ تزَاوَجَا. وَحْسْنُ العَلاقةِ بينهمَا نوجزُهُ بالنظر إلى ثلاثةِ أمُور.[1]

أوّلاً: الرّجلُ والمَرأة كلّ منْهُمَا مَخلوقٌ ليُعينَ الآخرَ.. فبسفر التكوين الأصْحَاح الثانِى مكتوبٌ: قالَ الرّبّ الإلهُ ليْسَ جَيداً أنْ يكونَ آدمُ وَحْدَهُ. فأصْنَعُ لهُ مُعيناً نظيرَهُ. هذا مَا دَبّرَهُ اللهُ للإنسَان وهُو ألا يكون آدَمُ وَحْدَهُ فجَعلَ اللهُ الرَجُلَ للمَرأةِ والمَرأة للرَجل. كلّ منهُمَا للآخَر فى ارتبَاطٍ كامل مِعاً جنسيّاً وعَاطفيّاً ورُوحيّاً. وذلِكَ الارتبَاط مُؤسّسٌ على اختيَار حُرّ للرَجل والمَرأة ليَرتضِى كلّ منهُمَا بقبُول الآخَر بمَا يتصِفُ مِنْ مَزَايَا وَمِنْ عُيُوبٍ.[2]

ثانياً: خَلقَ اللهُ الغَريزَةَ الجنسيّة على أنّهَا وسيلة الإثمَار والإنسَال.. ويَؤولُ ذلكَ الى تحقيق قصْدِ اللهِ مِنْ تكوين الأسْرة. ولا شكّ أننَا ندركُ بوضُوح فدَاحَة الخَرَابِ والدَمَار الذِى يلحقُ بنفسيّاتِ الأطفال ومَشَاعِرهُمْ نتيجَة لحَالاتِ الطلاق. وقدْ ارتفعَتْ نِسبتهَا إلى حَدٍ كبير تلكَ الأيّام. ومن غير الجائز أن نقبلَ أوضَاعاً فيها لا يَنمُو الأولادُ فى بيئةٍ مُنَاسبَةٍ لهم تكون آمنَة وتحْتَ رعَايَةِ وإشْرَافِ أبٍ وأمّ هُمَا شَريكا حيَاةٍ وَاحِدَةٍ. ولنْ يَتحققَ ذلِكَ إذا قبلنَا التسيّبَ فى مُمَارَسِةِ الجنْس. والانغمَاس فِى مُزَاولتِهِ فى سِنّ مُبكرَةٍ. وقبلَ نضُوج الشَخْصيّةِ.[3]

ثالثاً: إنّ الغَريزَةَ الجنسيّة عَاملٌ أسَاسِىّ لخلق رِبَاطٍ دائِم للحيَاةِ الزّوْجيّةِ.. وذلِكَ الرّبَاط مَبْنِىّ على الثقةِ المُتبَادلةِ فى المُعَاشَرةِ الزّوجيّةِ. فمَثلاً لمَاذا نتألمُ بشِدّةٍ إذا لمْ يكنْ الزّوْجُ أميناً أوْ كانَتْ الزّوْجَة غيْرَ أمينةٍ؟!. السَبَبُ هُو أنّهُ عِنْدَمَا يَهَبُ الوَاحِدُ نفسَهُ للآخرَ بالمُعَاشَرَةِ الجنسيّةِ. يُعطِى كلّ منهُمَا الآخَرَ نفسَهُ كليّة وبكامِل إرَادتِهِ. ليَصيرَ الاثنَانُ وَاحِداً جَسَديّاً ورُوحيّاً وعَاطِفيّاً. فكلّ منهُمَا يَضَعُ نفسَهُ بثقةٍ كاملةٍ وبأمَانَةٍ فِى يَدِ الآخَر. هذِهِ الثقة ثمنهَا بَاهِظ إذا انتهكتْ حُرْمَتهَا. لذلِكَ رَتبَ اللهُ أنْ تكونَ العِلاقة الجنْسيّة تحْتَ إطار العَلاقةِ الزّوجيّةِ.[4]

وأخيراً أقولُ إنّ الضّميرَ يَعْملُ فينَا كجهَاز للإنْذار والتحْذير. والمَفرُوضُ أنّ جهَازَ الإنذار يُعْطِى تحْذيراً عِنْدَ التعَرّض للخَطر. ولكنْ إذا دأبَ مَالكُ الجّهَاز على عَرْقلتِهِ. فالجهَازُ لنْ يُؤدّى وَظيفتهُ. وبالمِثل يُمكنُ تعْطيلَ وإفسَادَ ضَمَائِرنَا فتتوقفَ عَنْ تأديَةِ مُهمّتهَا على النّحْو السّليم. ومَا يَدْعُو للعَجَبِ أنْ نَجدَ إنْسَاناً ينغَمِسُ فى عِلاقاتٍ جنسيّةٍ قبلَ الزّوَاج بحُجّةِ أنّهُ حَالمَا تزوّجَ استقامَ. ولكنْ مَنْ أدْرَاهُ أنّ المَرأةَ التِى سَيْشْرعُ فِى زوَاجهَا رُبّمَا عَاشَرَتْ آخَرينَ جنسيّاً قبلَ زَوَاجهَا. فكيْفَ يَضْمَنُ أنّهَا ستتوقفُ عَمّا اعتادَتهُ. وأنّهَا لنْ تعُودَ إلى سُلوكِهَا المَاضِى وخَاصّة إذا تصدّعَتْ العِلاقة بينهُمَا؟!. إنّ مُمَارسَة الجنْس بلا تقيّدٍ قبلَ الزّوَاج يَجْعلهُ أمْراً تافهاً بلا مَعْنَى كريم بَعْدَ الزّوَاج. إنّ قصْدَ اللهِ مِنْ خلق الغَريزةِ الجنسيّةِ فينَا أنْ ينْحَصِرَ اشبَاعُهَا الكامِلُ فى العَلاقةِ الزّوجيّةِ. وبرسَالةِ يَعقوب آية ذهبيّة يا حبّذا لو حفظناها. تتضمّنُ أنّ: الديَانَة الطاهِرَة النقيّة عِنْدَ اللهِ هِى حِفظِ الإنسَان نفسَهُ بلا دَنَس مِنَ العَالم.[5]

عزيزى القارئ.. أدْعُوكَ لِتشتركَ مَعِى فى تلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِىّ.. مَا أعْظمَكَ!. فكلّ مَا خَلقتَ لحِكمَةٍ صنَعْتَ. وكلّ مَا أوْصَيتنَا بهِ فى كتابكَ لخيْرنَا وَضَعْتَ. هَبْنِى نِعْمَة كىْ أكونَ سَامِعاً عَامِلاً بكلامِكَ متمماً مشيئتك. أرفعُ صَلاتِى فى اسْم يَسُوعَ البّار مُتكلاً على وُعْدِكَ الصِادق يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالة أو غَيرَهَا ستجدُ ذلكَ فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm
وإنْ أرَدْتَ سَمَاع تلكَ الرّسَالة بالإنجليزيّة مِنْ Cliffe Knichtle ستجدُ ذلكَ فى:
http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html

---

[1] سفر التكوين ١: ٣٧ – ٣٨
[2] سفر التكوين ٢: ١٨
[3] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ٣: ١٨ – ٢٢
[4] رسالة يعقوب ١: ٢٧ (الجزء الأخير من الآية)
[5] رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٠: ١٢